

2016

## الْوَحْدَةُ التُّرَابِيَّةُ مِنْ خِلَالِ الْعَلَائِقِ الْعَمَلِيَّةِ بَيْنَ الْخَوَاصِرِ الْمَغْرِبِيَّةِ وَأُمْتِدَادَاتِهَا الصَّخْرَاوِيَّةِ؛ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ يَحْيَى الْوَلَاتِي أُنْمُوذَجًا

حسن حميتو

hassanhmito@hotmail.com, كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، جامعة ابن زهر، المغرب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>

 Part of the [History Commons](#), and the [Sociology Commons](#)

### Recommended Citation

حميتو، حسن (2016) "الْوَحْدَةُ التُّرَابِيَّةُ مِنْ خِلَالِ الْعَلَائِقِ الْعَمَلِيَّةِ بَيْنَ الْخَوَاصِرِ الْمَغْرِبِيَّةِ وَأُمْتِدَادَاتِهَا الصَّخْرَاوِيَّةِ؛ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ يَحْيَى الْوَلَاتِي أُنْمُوذَجًا", *Dirassat*. Vol. 19 : No. 20 , Article 3.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol19/iss20/3>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aarj.edu.jo](mailto:rakan@aarj.edu.jo), [marah@aarj.edu.jo](mailto:marah@aarj.edu.jo), [u.murad@aarj.edu.jo](mailto:u.murad@aarj.edu.jo).

---

# الْوَحْدَةُ التَّرَايِيَّةُ مِنْ خِلَالِ الْعَلَائِقِ الْعَمَلِيَّةِ بَيْنَ الْخَوَاصِرِ الْمَغْرِبِيَّةِ وَامْتِدَادَاتِهَا الصَّخْرَاوِيَّةِ؛ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ يَحْيَى الْوَلَاتِي أَنْموذجًا

## Cover Page Footnote

طُبِعَتْ هَذِهِ الرَّحْلَةُ بِدَارِ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ سَنَةَ 1990 م بِتَحْقِيقِ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ حَجِي فِي مَجْلَدٍ 1-

# الوحدة الترايبية من خلال العلائق العلمية بين الحواضر المغربية وامتداداتها الصحراوية الشيخ محمد يحيى الولّاتي أمّودجا

حسن حميتو

كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة ابن زهر- أكادير

## مقدمة

إن موضوع هذه الدراسة يعد موضوعا طويلا ذيل، متشعب الفروع، ذو جذور عميقة ضاربة في أعماق تاريخ هذه البلاد المغربية. سأحاول من خلال هذا المقال، رصد بعض الروابط العلمية التي كانت بين رجالات العلم والفكر في جهات المغرب الصحراوية، وبين إخوانهم العلماء في الحواضر المغربية الداخلية، مما يظهر منه بجلاء وحدة الانتماء الذي يجمع المغاربة جميعا عبر التاريخ من جهات المغرب كله، ويتضح معه أن المغرب والصحراء كانا ومازالا وجهان لعملة واحدة لا يتصور أحدهما دون الآخر. وسأحاول إبراز ذلك من خلال قطوف عطرة من سير طائفة من أعلام علماء الصحراء المغربية، وبخاصة منهم عالم الصحراء الكبير الذي مثل بحق أوثق عرى صلات الوصل ما بين جهات المغرب الصحراوية إلى تخوم بلاد شنقيط أو ما أمسى يعرف بموريتانيا، وبين الحواضر المغربية في الداخل، وما فيها من مراكز ومعاهد علمية، خاصة في رحلته الحجازية<sup>1</sup> الشهيرة التي سجل في وقائعها صورا لما كان بين أطراف المغرب الكبير من صلات وعلاقات في جميع المجالات، الأصولي النظار الفقيه محمد يحيى بن محمد المختار الولّاتي الصحراوي المتوفى بولاتة الصحراء سنة 1330هـ. مدخل: وحدة الانتماء والعلائق الوثيقة بين المناطق الصحراوية ونظيرتها بالشمال المغربي وبعض تجلياتها

لقد ظلت المناطق الصحراوية طوال تاريخها موصولة مع المناطق المغربية في شمالها بوشائج لا تنفصم عراها، منها الدين والنسب واللغة والتاريخ

<sup>1</sup> - طبعت هذه الرحلة بدار الغرب الإسلامي سنة 1990م بتحقيق الدكتور محمد حجي في مجلد.

المشترك، مما لا يحتاج منا إلى وسائل إثبات، وكانت العلاقات السياسية فيما بينها نابعة من هذا الواقع على الرغم من شساعة الأبعاد؛ ولذلك كانت الدول التي تعاقبت على المغرب عبر التاريخ تبعث بالولاء والقضاة والقيادات إلى المناطق الصحراوية في عهود ازدهارها وقوتها، وتُقَصِّر عن الوفاء بذلك في عهود ضعفها ووهنها. وتشهد الوثائق التاريخية المتوفرة على استمرار تبعية جهات الصحراء الكبرى لقاعدة الحكم في المغرب منذ أيام السعديين في المائة العاشرة مروراً بعهد السلطان أحمد المنصور الذهبي<sup>2</sup> الذي أعاد تمهيد البلاد الصحراوية في حملته العسكرية المشهورة التي وصل فيها إلى حدود نهر السنغال وغانة وأطاح بإمارة آل سكية بتمبكتو قاعدة مالي الحالية<sup>3</sup>.

واستمرت الحال على ذلك في تبعية المنطقة للدولة العلوية المجيدة، وفي الخزائن الرسمية للدولة وثائق كثيرة تتضمن نصوص البيعة التي كانت تصدر من رؤساء القبائل الصحراوية من هذه الجهات، ونجد في كتاب الإعلام للمراكشي إشارات كثيرة وتراجم لمن وفدوا على مراكش لهذا الغرض<sup>4</sup>، ويهمننا هنا ما كان لهذه العلاقات الوطيدة بين الجهات الصحراوية وقاعدة الحكم من أثر كبير في إغناء الحياة الثقافية والعلمية في القطرين، كما استفاد أهل الصحراء - علماء وغيرهم - من سلوك الطريق إلى الحج عبر السواحل المغربية، وتعتبر رحلة الشيخ الصوفي الفقيه أحمد المصطفى الطالب ابن طوير الجنة الواداني (ت1256هـ) المسماة "رحلة المنى والمنة"<sup>5</sup> والرحلة الحجازية للفقيه أبي عبد الله

<sup>2</sup> - هو أبو العباس أحمد المنصور الشريف الملقب بالذهبي بن محمد الشيخ السعدي، من عظماء السلاطين السعديين، ولد بفاس سنة 956هـ ومات بالطاعون 16 ربيع النبوي سنة 1012هـ/1603م عن 56 سنة، وهو سادس ملوك الدولة السعدية، دفن بفاس، خصه أبو العباس أحمد بن القاضي بكتاب خاص في ترجمته سماه المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، وترجم له محمد الصغير الإفرائي في نزهة الحادي ص146-281.

<sup>3</sup> - الاستقصا للناصري [121/5].

<sup>4</sup> - ينظر منه مثلاً ترجمة محمد بن سيدي محمد ابن أبيج العلوي [234/8] وترجمة محمد مصطفى ماء العينين الإدريسي الشنقيطي [171/9].

<sup>5</sup> - توجد منها نسخ متفرقة في البلدان المغاربية والسنغال، أهم نسخة وأجودها هي نسخة فاريبورغ بألمانيا وأصلها موريتاني، وهناك نسخة وادان مدينة صاحب الرحلة وهي نسخة جيدة، وبالمغرب هناك نسخة المكتبة الوطنية بالرباط منقولة على ميكروفيلم رقمه 1534 وهي مبتورة الأول وتنقصها صفحات عديدة بالوسط. وقد اهتم الفرنسيون بهذه الرحلة فنشر الأستاذ ديستانك عرضاً لأبرز

محمد يحيى الولاتي (ت1330هـ) بعده ثم الرحلة المعينية<sup>6</sup> للشيخ ماء العينين بن العتيق (ت1376هـ) من أهم الأمثلة والنماذج التي جسدت تلك العلاقات وهذه الاستفادة، وقد أشار محقق كتاب الرحلة المعينية في مقدمة تحقيقه لها إلى نحو مما ذكرناه، كما نبه إلى أن تراث الصحراء المكتوب يشكل جزء هاماً من التراث المغربي، ورافداً متميزاً من روافده الثرية، وقد حاول المستعمر القضاء عليه من خلال سياسته القائمة على طمس الهوية وضرب مقومات وحدة الشعوب المستعمرة، وفي هذا الصدد قام المستعمر بإحراق خزانة الشيخ ماء العينين خلال الهجوم الفرنسي على مدينة السمارة سنة 1913م، وخرب ونهب العديد من الذخائر العلمية والمآثر التاريخية<sup>7</sup>.

إن الواقع التاريخي للمنطقة وتبعيتها التاريخية للمغرب حقيقة واضحة وضوح الشمس لا يمكن سترها بغربال الأوهام والتضليل الزائف، فمن المعلوم من تاريخ المغرب السياسي أن أعظم دولة قامت في المغرب بعد الفتح الإسلامي وفتحت الأندلس ومكنت للمذهب المالكي، قدمت من الصحراء المغربية، وهي الدولة المرابطية ويعسوبها يوسف بن تاشفين (ت500هـ)<sup>8</sup> ممهد الإسلام في الصحراء وموحد المغرب وباني عاصمته مراكش في القرن الخامس الهجري. بل إن مشروع قيام دولة المرابطين الصنهاجية الصحراوية التي امتد نفوذها من

محتوياتها في أحد أعداد (المجلة الإفريقية) الشهيرة La Revue Africaine الصادر سنة 1911، كما قام مستشرق إنجليزي اسمه هنري ثرلوال نوريس H.T.NORRIS أستاذ بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن، بترجمة النسخة المحفوظة بوادان (موريتانيا) إلى اللغة الإنجليزية ونشرها عام 1977م. وطبعت بتحقيق د/ أبو القاسم سعد الله، نشر المؤسسة الوطنية للفنون بالجزائر سنة 1982م، كما حققتها الباحثة زينب بنت الطالب أحمد بكلية الآداب جامعة نواكشوط.

<sup>6</sup> - الرحلة المعينية (الصغرى) لماء العينين بن العتيق، سماها ابن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى ص246 "الرحلة المعينية المحررة إلى مكة والمدينة المنورة"، حققها الدكتور محمد الطريف وطبعت عدة طباعات منها طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة 2004م في مجلد واحد.

<sup>7</sup> - انظر مقدمة تحقيق الرحلة المعينية ص13، وانظر ما ذكره الخليل النحوي في كتابه بلاد شنقيط من الفطائع التي ارتكبتها المستعمر الفرنسي بخزائن المخطوطات ص238 وخاصة الهامش رقم 38، 39، 40.

<sup>8</sup> - هو أمير المسلمين أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري، أعظم ملوك دولة المرابطين، وباني مدينة مراكش، وصاحب نصر الزلاقة الذي مدد الوجود الإسلامي بالأندلس لأربعة قرون، شمل سلطانه المغربين الأقصى والأوسط وجزيرة الأندلس. ولادته سنة 410هـ ووفاته سنة 500هـ أخبره في الأنيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع ص136 وجذوة الاقتباس لابن القاضي ص545 ووفيات الأعيان لابن خلكان [112/7].

حدود نهر السنغال جنوبا إلى حدود جبال الألب شمالا مرتبط في أصله برجال العلم والإصلاح في الحواضر المغربية شمال الصحراء، فالْمُؤرخون يربطون ما بين قيام هذه الدولة، وبين رحلة الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالي<sup>9</sup> إلى الحج سنة 427هـ والتقاءه في عودته منها بالقيروان بأبي عمران الفاسي، حيث حضر في دروسه العلمية، وطلب منه إيفاد مبعوث معه من طلبته، يقرئهم القرآن، ويدرس لهم العلم، ويفقههم في دينهم، فعرض ذلك على طلبته، فلم يجد عند أحد منهم استجابة لذلك، فاكتمى بكتابة كتاب أرسله معه إلى تلميذه الفقيه وجّاج بن زلو اللمطي<sup>10</sup>، المقيم ببلد نفيس<sup>11</sup> من أرض المصامدة بالمغرب، فوصل إليه بالكتاب، فعرض وجّاج الأمر على طلبته، فانتدب لذلك عبد الله بن ياسين الجزولي (ت451هـ)<sup>12</sup>، وخرج مع يحيى إلى مواطن قومه "كدالة" بصحراء المثلثين، فنشر الإسلام في ربوع الصحراء واجتمع عليه الطلبة فكان ذلك نواة قيام دولة المرابطين التي يسميها المؤرخون بدولة الفقهاء، والتي هي في الحقيقة نتيجة تخطيط فقيه وعالم فاس الكبير الشيخ أبي عمران الفاسي<sup>13</sup>.

ومنذ ذلك الوقت لم يكن الإنسان الصحراوي يحس بانتماء آخر غير الإنتماء

<sup>9</sup> - هو يحيى بن إبراهيم الكدالي الصنهاجي اللمتوني، أحد أمراء صنهاجة الكبار. أخباره في الأنيس المطرب لابن أبي زرع ص122.

<sup>10</sup> - هو الفقيه وجّاج بن زلو أو زلوان اللمطي الجزولي، دفن أكلو بقرب مدينة تزنت، وضريحه معروف هناك يقام عليه موسم سنوي. رحل إلى الشيخ أبي عمران الفاسي بالقيروان فأخذ عنه، ثم عاد إلى بلاده بسوس فبنى بها دارا لإقراء القرآن سماها دار المرابطين، فيها تخرج عبد الله بن ياسين الزعيم الروحي للمرابطين. ترجمته في التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي ص89 والأنيس المطرب ص123 وطبقات الحضيكي [592/2] والمعسول [37/11].

<sup>11</sup> - مدينة قديمة قرب مراكش على وادي نفيس سكانها من البربر، فتحها عقبة وبنى فيها مسجدا، وكانت مشهورة بكثرة مياها وزراعتها المتنوعة، ونشاطها الاقتصادي المزدهر، وقد اندثرت هذه المدينة اليوم. انظر الروض المعطار للحميري ص 578 وتعليق محقق كتاب التشوف ص90 هامش 28.

<sup>12</sup> - هو عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي المصمودي، الزعيم الأول للمرابطين، وجامع شملهم، وصاحب الدعوة الإصلاحية فيهم، ومقيم دولتهم وباسط سلطانهم على جهات المغرب، أصيب بجراح في أثناء حربه للبرغواطيين كانت سبب وفاته سنة 451هـ وقبره بقبيلة ازعير قريبا من الرباط. ترجمته في ترتيب المدارك للقاضي عياض [82-81/8] والأنيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع ص124-133 والمعسول [47-40/11] وذكريات مشاهير رجال المغرب: عبد الله بن ياسين لعبد الله كنون عدد 37.

<sup>13</sup> - الأنيس المطرب ص122 والاستقصا [22-5/2].

لبلاد المغرب. وكان اسم "المغرب" وإطلاقه كافيا عند علماء الصحراء للدلالة على انتمائهم الوطني إلى هذا الكيان الترابي الموحد الذي لم يعرف في يوم من الأيام دعوة إلى الانقسام أو الانقسام.

ويدل على إحساس علماء الصحراء بانتمائهم إلى المغرب انتماء لا يعرفون غيره وجود هذا الاسم في مطالع قصائدهم العلمية، وذلك قبل أن تعرف دولة موريتانيا الحالية، فكان الصحراوي من حدود نهر السنغال لا يعرف لنفسه وطنا ينتمي إليه إلا المغرب الأقصى. وهكذا يقول أحد علماء الصحراء وهو أبو العباس أحمد التيجاني بن بابا بن أحمد بَيَّب العلوي الشنقيطي<sup>14</sup> في "منية المرید"<sup>15</sup>:

قال ابنُ بابا العلويُّ نسبُه  
المغربيُّ المالكيُّ مذهبُه  
ويقول الشيخ أحمد بن محمد بن ابن النجيب الحاجي الصحراوي<sup>16</sup> من علماء  
شنقيط والصحراء في مطلع أرجوزة "الدرة الفريدة فيما تزكو به العقيدة"<sup>17</sup>:  
يقول أحمد النجيب المغربي  
الأشعريُّ المالكيُّ المذهبِ  
ويقول علامة الصحراء المسمى بمحمد النابغة الغلاوي<sup>18</sup>:

<sup>14</sup> - هو أبو العباس أحمد التيجاني بن بابا بن عثمان بن محمد بن عبد الرحمن بن الطالب الشنقيطي العلوي: أديب، من فقهاء المالكية. ولد وتعلم بشنقيط، ودرس بمراكش وفاس، وطاف بالمغرب، وعمل في القضاء، وكان شيخا للطريقة التجانية بالمغرب، ومن كبار علمائها ودعاتها. ورحل إلى المشرق، وتوفي بالمدينة المنورة بعد سنة 1260هـ ترجمته في شجرة النور الزكية ص398 والوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص69 والأعلام للزركلي [1/103].

<sup>15</sup> - هو ديوان "منية المرید في آداب وأوراد الطريقة التجانية" يضم مجموعة قصائد في التصوف والطريقة التجانية ومدح شيخها ورجالها والدعوة إليها، طبع بمطبعة التضامن الأخوي بالقاهرة سنة 1350هـ/1931م، وأعيد طبعه بمكتبة القاهرة عدة مرات. وعليه شرح لمحمد العربي السايح العمري التيجاني سماه "بغية المستفيد لشرح منية المرید"، وهو مطبوع بدار الجيل ببلنات بتحقيق سعيد محمود عقيل سنة 2004 م.

<sup>16</sup> - هو العلامة المقرئ الفقيه اللغوي النسابة أحمد بن محمد بن محمد بن الحاجي الشنقيطي، ولادته سنة 1218هـ ووفاته سنة 1251هـ عاش 33 سنة فقط، وخلف أزيد من 42 مؤلفا. ينظر عنه مقدمة تحقيق كتابه "الجامع المقدم في شرح الجوهر المنظم في رسم الكتاب المعظم" للباحث أيمن الشيخ، رسالة ماجستير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة نوقشت سنة 1433هـ

<sup>17</sup> - وهي أرجوزة في 554 بيتا.

<sup>18</sup> - هو العلامة الأديب الفقيه الحافظ القاضي محمد النابغة بن عبد الرحمن بن أعمر السلاوي المساوي البكري الغلاوي، من قبيلة الأغلال الزاوية. ولد بشنقيط، وانتقلت أسرته إلى الحوض، وجال في

والاجتهادُ في بلاد المغربِ  
وطارتْ به في الجوّ عَنقًا مُغْرِبٍ<sup>19</sup>  
ويختم نظمه المعروف بـ"العدة في أحكام الردة"<sup>20</sup> في قصر ولاتة بأقصى شرق  
موريتانيا اليوم فيقول في ختامه:

وإني ختامه أَدَانِ الْمَغْرِبِ  
بَقْصِرِ وَالَّةٍ مِنْ أَرْضِ الْمَغْرِبِ  
ويقول القاضي محمد بن محمد بن أحمد فال<sup>21</sup> من علماء تندغة  
مشددا على وجوب تمسك أهل المغرب بمذهب مالك:

وَأَهْلُ مَغْرِبٍ عَلَيْهِمْ يُمْنَعُ  
غَيْرَ الْإِمَامِ مَالِكٍ أَنْ يَتَّبِعُوا  
لِفَقْدِ غَيْرِهِ فَكُلُّ خَارِجٍ  
عَنْ نَهْجِهِ فَهُوَ مِنَ الْخَوَارِجِ<sup>22</sup>  
ويقول أحمد بن دهاه العلوي<sup>23</sup> يرثي ضياع الاهتمام بالحديث ويعيب تفشي  
التقليد<sup>24</sup>:

دُونَكَ يَا مَنْ يَعْتَنِي بِالسُّنَنِ  
وَذَاكَ عِلْمٌ صَارَ فِي ذَا الْمَغْرِبِ  
وَاعْتِيْضٌ مِنْ مُسْنِدِهَا الْمُسْلَسِلِ  
وَنَاقِلِيهَا نَظَمَ دُرَّ حَسَنِ  
مُنْشِدُهُ مُنْشِدُ عُنُقَا مُغْرِبِ  
وَعَذْبٍ وَرِدْهَا الرَّوِّيُّ السَّلْسَلِ  
قَلَّدَ فِي الدِّينِ بِهَا الْمُقْلَدُ  
آرَاءَ قَوْمٍ ضَاعَ مِنْهَا السُّنْدُ

عدة مناطق من بلاد موريتانيا، وخلف مؤلفات تقارب الثلاثين، توفي سنة 1245هـ ترجمته مفصلة في  
مقدمة تحقيق البوطليحية ص40-24.

<sup>19</sup> - بيت من منظومة البوطليحية في المعتمد من كتب المالكية لمحمد النابغة بن عمر الغلاوي ص137  
البيت 233.

<sup>20</sup> - منظومة في 134 بيتا أولها:

قَالَ مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ أَعْمَرَا حَمْدًا لِمَنْ بِالْعِلْمِ قَلْبِي أَعْمَرَا

<sup>21</sup> - هو القاضي محمد بن محمد فال بن أحمد فال التنذغي الأربيعيني، فقيه لغوي وشيخ محظرة  
عريقة، ولي القضاء زهاء ستين سنة، ولادته سنة 1312هـ ووفاته سنة 1400هـ ترجمته في بلاد شنقيط  
للنحوي ص522.

<sup>22</sup> - بلاد شنقيط المنارة والرباط للخليل النحوي ص198.

<sup>23</sup> - هو أحمد بن محمد المختار "دهاه" بن محمد الحنفي العلوي، ولد بمنطقة التارزة بالجنوب الغربي  
لموريتانيا، سنة 1293هـ، وتنقل في البلاد المجاورة وبخاصة إلى بلاد السنغال، ومارس التعليم المحضري  
وكان حامل لواء الدعوة إلى السنة والعناية بعلوم الحديث، وخلف عدة مؤلفات في الحديث، منها  
فرائد المنح في شرح ألفية السيوطي في المصطلح. وفاته سنة 1361هـ ترجمته في بلاد شنقيط ص504.

<sup>24</sup> - أبيات من مقدمة كتاب مشارق الدجنة في وفيات علماء السنة للشيخ أحمد بن دهاه (مخطوط).



ويقول محمد مولود بن أغشممت<sup>25</sup> في قصيدة له في الفقه يشكو انتشار التيمم عند أهل الصحراء وتركهم الوضوء لغير ضرر<sup>26</sup>:

هذا وقد شاع بأقصا المغرب  
هجرُ الوضوءِ لا لخوفِ العَطْبِ

فسمى الصحراء باسم ما تنتمي إليه وهو المغرب الأقصا.

وقال الشيخ سيدي محمد<sup>27</sup> يخاطب والده الشيخ سيديا<sup>28</sup> الذي كان على صلة وثيقة بالملوك العلويين، وكان له أثر عميق في الإصلاح الديني بالصحراء:  
ألفيتُم الدينَ بقطرِ المغربِ  
طارَتْ به في الجوّ عَنقًا مُغْرِبِ<sup>29</sup>

هذا الانتماء للقطر المغربي الواحد جعل العالم الصحراوي تتوق نفسه إلى مراكز العلم في الحواضر المغربية الداخلية بفاس ومراكش وبلاد سوس وشمال المغرب، فيرحل إليها إما مستزيدا من العلم والتحصيل، أو معرجا عليها في طريقه للحج، أو طالبا للحظوة عند سلاطين الدولة المغربية الذين كانوا ينزلون العلماء منازلهم من الإكرام والتجلة والتقدير، حتى كانوا يولون بعضهم القضاء أو غيره من الولايات في جهته بالصحراء، وهو ما سنبين طرفا منه في المحورين الموالين.

<sup>25</sup> - هو الشيخ الأديب محمد مولود بن محمد بن المختار "امرابط أغشممت" بن حبيب الله المجلسي، ولد بمنطقة التارزة، وتلقى علوم المحاضرة عن جده وطائفة من العلماء، وكانت له محاضرة ببلده. وافته سنة 1327هـ ترجمته الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لأحمد بن الأمين الشنقيطي ص356 وبلاد شنقيط ص527.

<sup>26</sup> - يقول الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي: "وكانت أهل ناحيته التي يقيم بها أكثر أهل الصحراء تيمما، فنظم نظما أثر فيهم، وصار كثير منهم يتوضأ" ثم ذكر من أبيات النظم هذا البيت. الوسيط ص356.

<sup>27</sup> - هو الشاعر سيدي محمد بن الشيخ سيديا بن المختار بن الهيبه الأبييري الإنتشائي الشنقيطي، عالم جليل وشاعر متمكن، وناقد متبصر، عاش بعد أبيه سنة واحدة، وكان قد سأل الله ذلك في حياة والده، ولادته سنة 1247هـ ووفاته سنة 1286هـ الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص243.

<sup>28</sup> - هو سيديا بن المختار الهيبه بن أحمد دولة بن أبابك ابن انتشايت الأبييري الانتشائي الشنقيطي، من أقطاب العلم والتصوف والسياسة، وأحد شيوخ الطريقة القادرية، سافر إلى المغرب في زمن السلطان مولاي عبد الرحمن العلوي، وكان له نفوذ في بلاده. ولادته سنة 1190هـ ووفاته سنة 1284هـ ترجمته في الوسيط ص240 وبلاد شنقيط ص518.

<sup>29</sup> - من أرجوزته الطنانة في مدح والده التي مطلعها:

ياسيدي إني فذاك الله بي جاري الحمى ما عنه لي من مذهب  
الوسيط ص244.

## المحور الأول: صور من الصلات العلمية التاريخية لعلماء الصحراء برجال السيف والقلم بحواضر شمال المغرب.

لقد كان لعلماء الصحراء عبر التاريخ احتكاك وثيق بنظرائهم في العلم من علماء الحواضر المغربية أخذاً وعطاء، ومن صور ذلك الاحتكاك الدائم والتلاقح العلمي المتبادل ما كانوا يتبادلونه بينهم من مراسلات علمية، خاصة مع علماء فاس حاضرة العلم والعلماء، وربما شد بعضهم الرحال إليها أو إلى غيرها مفيدا أو مستفيدا، فكان يسجل وقائع ما لقيه في رحلته وما سئل عنه من مسائل أو عرض عليه من نوازل، كما نجد الكثير من ذلك في الرحلة الحجازية لمحمد يحيى الولاقي ورحلة أبي عبد الله محمد الأمين الصحراوي<sup>30</sup> وغيرها.

وربما الغزوا لعلماء فاس مسائل يمتحنونهم بها لعلمهم بمكان فاس وعلمائها من العلم والنبوغ فيه<sup>31</sup>. وقد جمع الباحث الخليل النحوي من تلك الألغاز الشعرية مجموعة في كتابه بلاد شنقيط المنارة والرباط<sup>32</sup>، ومن ذلك قول الشيخ محمد العاقب بن مايابى الجكني (ت1312هـ)<sup>33</sup> يخاطب أهل فاس ملغزا في

<sup>30</sup> - هو محمد بن عبد الله الحجاجي الجعفري الصحراوي الشنقيطي، قدم من بلده شابا فأقام بمراكش، كان له اتصال وثيق بالسلطان محمد بن عبد الرحمن العلوي وابنه الحسن الأول، توفي بمراكش سنة 1296هـ له رحلة ضمنها أخبار زيارته لمدينة فاس وغيرها من مناطق المغرب، وأجاب فيها عن أسئلة سأله عنها الشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي صاحب الاستقصا، سماها "المجد الطارف والتالد على أسئلة الناصري سيدي أحمد بن خالد"، وهي ما تزال مخطوطة، ذكر صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى ص 248 أنها بخزانة الناصريين بسلا، ومنها نسخة بالخزانة العامة بالرباط برقم ك 588. تنظر ترجمته في إتحاف المطالع لابن سودة [269/1] والإعلام للمراكشي [22/1، 124] والأعلام للزركلي [43/6].

<sup>31</sup> - من أشهر تلك الألغاز التي وجهها علماء الصحراء لأهل فاس ألغاز محمد عثمان بن أغشمت المجلسي التي امتحن بها أهل فاس حين زارها. أولها:

إلى مدارس فاس الغر أسئلة عيالم أهل الحفظ والمملكة

وختامها قوله:

أريد منكم جوابا رائقا حسنا نظما وإلا فما أعطتكم الشبكة

تنظر تلك الألغاز في الوسيط ص358 وبلاد شنقيط ص277.

<sup>32</sup> - بلاد شنقيط المنارة والرباط ص275-280.

<sup>33</sup> - هو الشيخ المقرئ الفقيه محمد العاقب بن سيدي عبد الله بن أحمد الملقب بـ"مايابى" الجكني الشنقيطي، ولد بالحوض الغربي لموريتانيا، نشأ في بيت علم وصلاح، ورحل مع إخويه محمد حبيب الله ومحمد الخضر إلى السمارة والساقية الحمراء بعد الاستعمار الفرنسي لبلده، واتصلوا بالسلطان مولاي

## فوائد السواك العشر:

بَعَثَرِ خِصَالٍ فِي الْحَدِيثِ مُفَصَّلَةً  
وَأُضِحْتُ لَدَى أَهْلِ الْمَدَائِنِ  
مُهِمَّةً<sup>34</sup> أَدَامَ النَّبِيُّ فِي الْمَدِينَةِ فِعْلَهَا

ويقول أحمد بن محمد بن محمد بن محمد سام<sup>35</sup>:

يَا أَهْلَ فَاسٍ لُغْزَةً مِنَ الْعِبَرِ  
يَا أَهْلَ فَاسٍ لُغْزَةً مِنَ الْعِبَرِ  
إِمَّا اتِّفَاقًا أَوْ عَلَى الْمُشْهَرِ  
فَأَجَابَهُ بَعْضُ عُلَمَاءِ فَاسٍ بِقَوْلِهِ:

مَنْ عَلَّقَ الزَّوْجُ طَلَاقَهَا عَلَى  
إِذْ سَوَّغُوا لَهُ بَبَاقِي الْوَطْءِ

وله أيضا يخاطب علماء فاس ملغزا:

أَسْأَلُكُمْ يَا أَهْلَ فَاسٍ وَمَنْ سَمَا  
وَلَا غَرَوْ أَنْتُمْ دُرَّةُ يُجْتَنَى بِكُمْ  
أَسْأَلُكُمْ عَمَّنْ يَمُوتُ وَلَمْ يَكُنْ  
يُخَلِّفُهُ شَخْصٌ وَلَيْسَ بَوَارِثٌ

في الغاز أخرى كثيرة كان يجيب عليها علماء فاس<sup>36</sup>.

عبد الحفيظ، وكان المترجم يتنقل بين الصحراء وفاس، وله أحد عشر أخا هو أعلمهم، درس على عدة مشايخ من أشهرهم الشيخ ماء العينين. ولادته سنة 1275هـ ووفاته بفاس سنة 1327هـ ترجمته في النفحة الأحمديّة في بيان الأوقات المحمدية لأبي العباس أحمد بن الشمس [122/2] وبلاد شنقيط ص 524.

<sup>34</sup> - أوردها له شقيقه محمد حبيب الله ابن مايي في زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم بحاشية فتح المنعم لبيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم [202/1] قال: فلم يهتد لمراذه إلا الشيخ محمد التهامي كنون..وأجابه بأبيات".

<sup>35</sup> - هو الشيخ الأديب أحمد بن محمد بن محمد بن محمد سعيد المجلسي، من أسرة فضل وعلم، ووالده محمد الملقب بـ"دبّ سام" (ت 1302هـ) من أئمة العلم وهو رأس شيوخ محضرة أهل محمد سالم الذائعة الصيت، اشتهر بأمداحه النبوية، ومنها ما يسمى بـ"المنتخبات الهاشميات"، توفي سنة 1307هـ ينظر كتاب الشيخ ماء العينين، علماء وأمرأ في مواجهة الاستعمار الأوروبي للطلاب أخيار بن الشيخ مامينا، ومقال للدكتور محمد حجي بعنوان "خزانة آل سالم المجلسيين بالداخلية" نشر بمجلة المناهل: العدد 28 سنة 1983.

كما أن من صور تلك الصلات العلمية الوثيقة بين علماء الصحراء وعلماء فاس أن أسانيدهم في قراءة الإمام نافع تمر على شيوخ فاس، إذ تلتقي سلاسل الأسانيد المنتشرة اليوم في الصحراء المغربية وبلاد شنقيط في قراءة الإمام نافع من رواي ورش وقالون في مُقرئ الصحراء الشيخ عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي (ت1145هـ)<sup>37</sup>، الذي تلقى القراءة عن الشيخ أحمد الحبيب الفلاي للمطي السجلماسي<sup>38</sup> الذي تلقاها عن الشيخ إبراهيم السباعي السكوري<sup>39</sup> عن حافظ المغرب الكبير خاتمة المحققين الإمام أبي زيد عبد الرحمن بن القاضي الفاسي<sup>40</sup> شيخ الجماعة بفاس وصاحب المؤلفات النافعة في قراءة الإمام نافع بسنده المغربي المعروف عند علماء القراءة في المغرب، ويمر على شيوخ القراءة بالأندلس ومصر ليصل إلى ورش وقالون راويي القراءة عن نافع المديني إمام دار الهجرة في

<sup>36</sup> - ينظر كتاب بلاد شنقيط ص279.

<sup>37</sup> - هو الشيخ العلامة المقرئ أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن معاذ بن يحيى التنواجيوي الشنقيطي (ت1145هـ)، نسبة لقبيلة تنواجيو. له ترجمة في فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور للبرتلي ص208.

<sup>38</sup> - هو الشيخ المقرئ أبو البركات أحمد الحبيب بن محمد بن صالح بن أحمد بن يحيى بن محمد بن يحيى الصديقي السجلماسي للمطي، نسبة للمط بالتحريك رهط من سجلماسة، له باع واسع وخاصة في فنون التجويد، توفي سنة 1165هـ ترجمته في سلوة الأنفاس [463/2] والإعلام للمراكشي [383/2-384] ترجمة 264 وفتح الشكور ص37، 208 وطبقات الحضيكي [391/2].

<sup>39</sup> - هو العلامة المقرئ الشيخ إبراهيم بن علي بن محمد بن منصور الدرعي الأسكوري الشهير بالسباعي، والأسكوري نسبة إلى "اسكورة": قرية بدرعة، والسباعي: نسبة إلى قبيلة أولاد أبي السباع. أصله من الساقية الحمراء، وولادته سنة 1034هـ أخذ عن أبي زيد ابن القاضي وأبي سالم العياشي وجماعة، وله رحلة إلى المشرق لقي فيها الشبراملسي والزرقاني ومحمد بن سليمان الروداني وآخرين. وتوفي بدرعة سنة 1138هـ وذكر الكتاني أنه توفي سنة 1155هـ وضريحه معروف بدرعة، من آثاره كتاب: الشموس المشرقة بأسانيد المغاربة والمشاركة جمعه باسمه محمد بن عبد الله الحوات. ينظر ترجمته في فهرس الفهارس [1094/2] والموسوعة المغربية لعبد العزيز بن عبد الله [15/1] والإبداع والإتباع لابن المامون السباعي ص91.

<sup>40</sup> - هو شيخ الجماعة بفاس المقرئ الأستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن أبي العافية، أبو زيد المكناسي الأصل الفاسي الدار، يعرف بابن القاضي، صاحب التأليف الكثيرة الماتعة النافعة في علوم القراءة والأداء والرسم والضبط. ولادته بفاس سنة 999هـ واعتنى بالقرآن وعلومه، حتى أتقن القراءة وطرقها ومذاهب القراء جميعا، فصار أستاذ المغرب كله يغشاه الخلق للأخذ عنه، ويأتي بابنه من لا يحصون، بل لا يرى بالغرب أستاذ ولا مقرئ إلا تلامذته وعليه عمدتهم. كانت وفاته بفاس سنة 1082هـ ترجمته في الرحلة العياشية لأبي سالم العياشي [316/1] ونشر المثاني للقادري [6/2] وصفوة من انتشر لليفراني ص291.

## القراءة.

وكان للعالم الصحراوي حضور وازن في البلاط السلطاني المغربي، وحظوة عند ملوك المغرب، فقد تزوج المولى إسماعيل عاملة من عاملات الصحراء، وهي الأميرة خناثة بنت بكار بن عبد الله (ت 1155هـ أو 1159هـ)، من بيت الإمارة البركني، من إمارة البراكنة الصحراوية، سنة 1089هـ فأنجبت له مولاي عبد الله الذي ولي الحكم بعده، وكانت موصوفة بالعلم تناظر العلماء، ولها تقييدات على هامش الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر<sup>41</sup>، وترجم لها ابن زيدان في الإتحاف وأطال في وصف رحلتها للحج التي كانت سنة 1143هـ نقلا عن كتاب الرحلة الحجازية للوزير محمد الشرقي الإسحافي<sup>42</sup> الذي كان رفقة السيدة خناثة بنت بكار في هذه الرحلة، كما ترجم لها الناصري في الاستقصا والزركلي في الأعلام وغيرهم<sup>43</sup>.

وكان للمولى إسماعيل احتفاء خاص بعلماء الصحراء، وكان للشاعر الكبير سيدي عبد الله بن محمد بن القاضي العلوي (ت 1144هـ)<sup>44</sup> مكانة خاصة عنده، ثم عند ابنه محمد العالم<sup>45</sup> الذي كان واليا على سوس، وفيه أنشد وقد جاءه

<sup>41</sup> - النسخة المخطوطة من كتاب الإصابة التي عليها تعليقات خناثة بنت بكار محفوظة في الخزانة الحسنية بالرباط برقم 5932.

<sup>42</sup> - ينظر التعريف بها في دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة ص 237.

<sup>43</sup> - ينظر التعريف بها وبأبيها بكار الملقب بالغول بن اعلي بن عبد الله البراكني المغافري (ت 1092هـ) في إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس لابن زيدان [34/25/3] والاستقصا [138-58/7] والأعلام للزركلي [324/2] وبلاد شنقيط ص 509 و512.

<sup>44</sup> - هو العلامة الشاعر سيدي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الطالب القاضي العلوي المعروف بابن رازكة، ولد بمدينة شنقيط سنة 1060هـ واتصل بالسلطان المولى إسماعيل العلوي فحظي عنده، ثم بولده وخليفته على سوس الأمير محمد العالم فزادت مكانته، من كتبه نزهة المعاني في علمي البيان والمعاني وهو مطبوع، توفي سنة 1144هـ ترجمته في الوسيط ص 241.

<sup>45</sup> - محمد العالم بن السلطان المولى إسماعيل بن الشريف الحسني العلوي، ثار على أبيه بسوس ودعا لنفسه بتارودانت، ودخل مراكش عنوة، ثم قبض عليه أخوه زيدان بعد حروب طويلة، وحمل إلى مكناس فأمر أبوه بقطع يده ورجله من خلاف في الطريق، فكان ذلك سبب وفاته سنة 1116هـ الاستقصا [90/7] والأعلام للزركلي [37/6] والإعلام للمراكشي [12/5].

زائرا بعد أن غاب عنه إلى بلده في الصحراء<sup>46</sup>:

هذا الحبيب الذي قد جاء عن بُعد      والشمس قد أثرت في وجهه أثرا  
فقلت: ياعجبا للشمس في قمرٍ      والشمس لا ينبغي أن تُدرَك القمرِ

وقد استقدم هذا الشيخ مكتبة عظيمة أهدها إياها الأمير محمد العالم<sup>47</sup>.

وممن نال الحظوة عند سلاطين المغرب من علماء الصحراء المغربية سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم المحدث الشهير (ت1233هـ)<sup>48</sup>، قدم إلى فاس ومراكش للاستزادة من طلب العلم ولقاء مشيخة العلم بالمغرب، وحين اشتهر ذكره بفاس طلبه السلطان العالم مولاي محمد بن عبد الله العلوي (1171هـ-1204هـ) فامتنع من الحضور، فأمر "المخازنية" بإحضاره على الهيئة التي يجدونه فيها، فلما حمل إليه ذاكره فأعجب به وصار لا يصبر عن مذاكرته. ولما عزم الشيخ على الحج جهز له السلطان باخرة خاصة وأرسل معه ابنه يزيد<sup>49</sup>.

وممن كان له تردد دائم على الحواضر المغربية أيضا واجتمع بالسلطان عبد الرحمن بن هشام العلوي (1238هـ-1276هـ) الشيخ سيدي الكبير (ت1284هـ)<sup>50</sup>، وكان من مقاصد رحلاته التزود بالكتب لإدخالها إلى الصحراء، وربما راسل السلطان لأجل ذلك<sup>51</sup>، ولما رجع إلى بلده خاطبه الشاعر باب بن أحمد بيب (ت 1276هـ)<sup>52</sup> مهنئا إياه بالملكة العظيمة التي دخل بها إلى

<sup>46</sup> - ينظر البيتين في نفع الطيب للمقري [162/4] وسلك الدرر في أعيان القرن الثالث عشر لمحمد خليل المرادي [79/3].

<sup>47</sup> - بلاد شنقيط ص151.

<sup>48</sup> - هو الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام محض العلوي، من قبيلة ادوعل الشنقيطية. ولد بمدينة تجكجة سنة 1194هـ وأخذ عن المختار بن بونة والطالب أحمد بن طوير الجنة، وبفاس عن محمد بناني والتاودي بن سودة وعمر الفاسي، له مؤلفات عديدة في الفقه واللغة والأصول، من أشهرها منظومته الأصولية مراقي السعود التي نظم فيها جمع الجوامع وشرحها نشر البنود شرح مراقي السعود. توفي سنة 1233هـ ترجمته في فتح العليم في معرفة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم لاحمدو بن مون والوسيط ص37-40 والأعلام للزركلي [65/4].

<sup>49</sup> - الإعلام للمراكشي [331/10].

<sup>50</sup> - هو سيدي بن المختار بن الهبة، تقدمت ترجمته .

<sup>51</sup> - بلاد شنقيط ص151 .

<sup>52</sup> - ترجمته في الوسيط ص34-37.

الصحراء هدية من السلطان فقال<sup>53</sup>:

أضاءت بلادُ العَرَبِ لَمَّا أُتِيَتْهَا  
وأصبحَ يَبْكِي عندَ تَرَحُّالِكَ العَرَبُ  
وجئتُ بَكْتُبٍ يُعْجِزُ العيسَ حَمْلُهَا  
وعندك علمٌ لا تُحيطُ به الكُتُبُ

وكان للسلطان العلوي المولى عبد الرحمن بن هشام حب خاص في العلماء وميل إلى إكرامهم، وفد عليه بسببه طوائف منهم، وممن وفد عليه بمراكش في طريقه للحج من علماء الصحراء فنال إكرامه ونائله الشيخ ابن طوير الجنة<sup>54</sup> سنة 1245هـ وقد سجل ذلك في رحلته المسماة "المنى والمنة"<sup>55</sup>، حيث ذكر فيها لقياء لجماعة من أعلام علماء وصلحاء المغرب لهذا العصر ممن كان يسمع بهم وهو في بلده، وعلى رأسهم الشيخ العالم المقرئ الكبير محمد التهامي الأبيري الحمري<sup>56</sup>، كما روى عن بعض علماء القرويين بفاس. وسجل في هذه الرحلة ما حظي به من السلطان مولاي عبد الرحمن من كرم زائد حيث رتب له الرحلة بحرا إلى الحج ذهابا وإيابا، ثم أقام له زاوية خاصة بمراكش وأمر بتدريس بعض

<sup>53</sup> - بابا بن أحمد بنية: حياته وديوانه امحمدي بنة خيري ص 57 والوسيط ص 151.

<sup>54</sup> - هو الشيخ الطالب احمد المصطفى بن طوير الجنة بن عبد الله بن أحمد صائم الحاجي الواداني التشيتي، من قبيلة "إدولحاج"، أصوله كما صرح به في رحلته من أغمات بجوار مراكش، ولادته سنة بوادان بمنطقة أدرار سنة 1145هـ وتلقى العلم عن علماء الصحراء ولازم الشيخ عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي زهاء عشرين سنة، وكانت له رحلة للحج سجل وقائعها في كتاب "المنى والمنة". توفي بوادان سنة 1265هـ عن ازيد من 120 سنة. ترجمته في الإعلام للمراكشي [260/3] ترجمة رقم 451 ومقدمة تحقيق تاريخ ابن طوير الجنة لسيد أحمد بن أحمد سالم (من ص 25 إلى ص 30).

<sup>55</sup> - طبعت بتحقيق د/ أبو القاسم سعد الله، نشر المؤسسة الوطنية للفنون بالجزائر سنة 1982م، كما حققها الباحثة زينب بنت الطالب أحمد بكلية الآداب جامعة نواكشوط.

<sup>56</sup> - هو المقرئ الشهير في عصره سيدي محمد التهامي بن محمد بن مبارك بن مسعود الأوييري نسبة إلى جماعة الأوييرات قرب مدينة الشماعية من بلاد أحمر - عمالة اليوسفية حاليا. من بيت علم وفضل فأبوه وجده من أهل القرآن، أخذ القراءة عن والده وعن الشيخ المقرئ الكبير محمد بن عبد السلام الفاسي والشيخ عبد الله بن علي السكياطي الشيطمي، وأخذ بمدينة مراكش عن جملة من أعلام الرواية كأبي الحسن علي البوعناني وأبي عبد الله الدكالي وابن عبد الكريم الرحماني وسواهم. ودرس بجامع القرويين على مشيخة فاس. له رحلة إلى الحج سنة 1211هـ رفقة شيخه السكياطي، تصدر للإقراء بالمدرسة البوسونية بقبيلة احمر، ومن أشهر تلاميذه الشيخ محمد بن محمد الزراري الشراذي النخلي المعروف بالزوين (ت 1311هـ) صاحب مدرسة القراءات المشهورة بحوز مراكش. توفي سنة 1246هـ ترجمته في الإعلام للمراكشي [253-251/6] رقم 805 وحياة الكتاب وأدبيات المحاضرة للدكتور عبد الهادي حميتو [259-256/1].

كتبه في المدارس المغربية، ثم زوده في طريق عودته لبلده بأنواع الهدايا وفي جملتها مكتبة ذكر في رحلته أنها حمل ثلاثين بعيرا تضم نفائس الكتب. ومن كبار علماء الصحراء وأدبائها الذين كان لهم ذكر وشهرة ازدادات بانتقالهم من تخوم الصحراء واستقرارهم بحواضر الشمال، الشيخ الصوفي الأديب محمد الأمين بن عبد الله الحجاجي الجعفري الصحراوي الشنقيطي (ت1296هـ)<sup>57</sup>، إذ تذكر المصادر أنه قدم إلى مراكش وهو شاب، فاتخذها دار إقامة واستكمل تكوينه العلمي بها، ثم ذاع صيته وعرف قدره، فأدناه السلطان محمد بن عبد الرحمن العلوي وكان له فيه حب وإكرام وإجلال وهو ولي للعهد، ازداد في أيام حكمه، وورث عنه ذلك في جَنب الشيخ ابنه الحسن الأول، كما كان للشيخ في هذين السلطانين قصائد وأمداح كثيرة نال بها منهما عطايا سخية. وللشيخ رحلة طاف فيها بمدن المغرب ولقي فيها العلماء، وكان محل حفاوة وترحيب من الولاة والقواد حيثما حل وارتحل سجل أحداثها في ديوان خاص ما يزال مخطوطاً<sup>58</sup>.

ومن أبرز الشخصيات العلمية الصحراوية وأوسعها صيتا في المغرب لهذا العهد نالت به حظوة بارزة عند سلاطين المغرب الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل<sup>59</sup> (ت1328هـ)، الذي كان له اتصال متين بالسلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، ثم بابنه السلطان محمد بن عبد الرحمن، ثم بالسلطان الحسن بن محمد الأول، وشارك في الحملات العسكرية ضد الاستعمار الإسباني في الصحراء، وتتلذذ عليه السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن. وكان للشيخ

<sup>57</sup> - له ترجمة في إتحاف المطالع [269/1]، وينظر مقال: من أعلام العلماء على عهد المولى سيدي محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسن الأول: محمد الأمين الشنقيطي، للدكتور حسن جلاب، مجلة دعوة الحق: العدد 263، رجب 1407هـ - مارس 1987م.

<sup>58</sup> - هي رحلة "المجد الطارف والتالد على أسئلة الناصري سيدي أحمد بن خالد"، وتقدم التعريف بها.  
<sup>59</sup> - هو العلامة المجاهد الزاهد العابد الشيخ محمد المصطفى بن محمد فاضل بن محمد مأمين الإدريسي الحسني الشنقيطي القلقمي، أبو الأنوار، الملقب بماء العينين، من قبيلة القلاقمة، من عرب شنقيط، مولده ببلدة الحوض سنة 1246هـ واستقر بمنطقة سمارة وبلاد الساقية الحمراء. يعد في كبار شيوخ العلم والتصوف والجهاد في عصره، وله مؤلفات كثيرة، وكانت له حظوة عند سلاطين الدولة العلوية: من المولى عبد الرحمن إلى المولى عبد العزيز بن الحسن. توفي في تزنييت بسوس سنة 1328هـ ترجمته في الوسيط ص365 والمعسول [4/83-101] وإتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع لابن سودة [385/1] والأعلام للزركلي [243/7].



ماء العينين زوايا بمراكش وفاس وتزنيت وطرفاية والسامرة، وأطار وأردار ببلاد شنقيط<sup>60</sup>. ومن أحفاده ماء العينين بن العتيق (1306-1376هـ)<sup>61</sup>، أقام مدة بمدينة إفني، ثم عمل قاضيا بمدينة طنطان وأستاذًا بكلية ابن يوسف بمراكش، وله رحلة تقدمت الإشارة إليها، تجول خلالها في المغرب في طريقه إلى الحج من مدينة تطوان سنة 1357هـ وسماها "الرحلة المعينية"<sup>62</sup>.

ومن علماء الصحراء الذين وفدوا على سلاطين الدولة العلوية وطاب لهم المقام بحاضرة فاس الشيخ محمد العاقب بن مايابى الجكني اليوسفي السالف الذكر (ت1312هـ)، وفد هو وشقيقاه محمد الخضر (ت1354هـ)<sup>63</sup> ومحمد حبيب الله (ت1363هـ)<sup>64</sup> على السلطان المولى عبد الحفيظ بن الحسن العلوي (1325-1330هـ) في فاس، فلما دخل الشيخ محمد العاقب على السلطان أنشده في جملة أبيات يمدحه فيها قوله<sup>65</sup>:

لما تولى على الإسلام رأيتَه      عبدُ الحفيظِ الفاطمي الحسني  
جئنا إليه بحالٍ غيرٍ لائقٍ      كيما نؤوبَ بحالٍ لائقٍ حسنٍ

فقال السلطان: ايتوني بهذا الحال ومؤنثها في بيت واحد. يعني تأنيثه الحال في قوله: "غير لائق"، وتذكيره في قوله: "بحال لائق حسن". وقد رغب المولى عبد الحفيظ في استبقائه في حاشيته لكنه أبدى رغبته في مواصلة السير إلى الشرق لأداء الحج والاستقرار هناك فرارا من الاستعمار الفرنسي لبلده، وحين حج

<sup>60</sup> - ينظر المعسول [101-83/4].

<sup>61</sup> - ترجمته في إتحاف المطالع لابن سودة [562/2].

<sup>62</sup> - ينظر المعسول [293/4].

<sup>63</sup> - هو محمد الخضر بن عبد الله بن مايابى الجكني الشنقيطي، هاجر إلى الحجاز فأقام مدة بالمدينة وصار مفتي المالكية بها، ثم انتقل إلى الأردن فصار أول قاض للقضاة بها، ثم عاد للمدينة فتوفي بها سنة 1354هـ ترجمته في الأعلام للزركلي [113/6] وبلاد شنقيط ص518.

<sup>64</sup> - هو الشيخ محمد حبيب الله بن عبد الله بن مايابى الجكني الشنقيطي، هاجر من بلده بعد الاستعمار الفرنسي، فدخل المغرب، ثم انتقل إلى الحجاز فمصر مدرسا بالأزهر، له عشرات المؤلفات، منها زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم. وحين حج السلطان عبد الحفيظ رافقه في حجه وزيارته وسافر معه إلى القدس والخليل. ولادته سنة 1295هـ وتوفي بالقاهرة سنة 1363هـ. ترجمته في الأعلام للزركلي [79/6] وبلاد شنقيط ص518.

<sup>65</sup> - ذكر ذلك الشيخ أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي في كتابه قطوف الريحان من زهر الأفنان شرح حديقة ابن الونان ص9.

السلطان المولى عبد الحفيظ سنة 1331هـ استصحبه معه إلى القدس فكان رفيقه في حجه وزيارته<sup>66</sup>.

ومن رجال العلم بالصحراء الذين كان لهم حضور علمي وأدبي وازن بالحوضر الشمالية للمغرب الشيخ محمد بابا الصحراوي (ت 1342هـ)<sup>67</sup>، وهو أديب كبير مشهور، استقر سنين عديدة في إلغ قرب تزنيث، حتى صار كأحدهم كما يقول محمد المختار السوسي<sup>68</sup>، واتخذته الشيخ ماء العينين ناسخاً لمؤلفاته، وله مطارحات أدبية مع معاصريه من الإلغيين<sup>69</sup>.

ومثله الشاعر محمد سالم بن عبد الفتاح الصحراوي (ت نحو 1364هـ)<sup>70</sup>، وكانت له تنقلات بين السمارة ومراكش، وسكن إلغ مدة، وحلاه صاحب "المعسول" بـ "شاعر زمانه على الإطلاق"، وأورد له قصائد خاطب بها بعض أدباء عصره تدل على علو مرتبته في الشعر والأدب<sup>71</sup>.

ومنهم أيضاً الشيخ محمد محمود بن البيضاء الشنقيطي (ت 1349هـ) دفين أكردوس<sup>72</sup>، وهو ممن هاجر من بلاده فاستقر بمراكش، ودرّس بها، واستقرت معه بمراكش أخته خديجة بنت البيضاء، وكانت عاملة تدرس اللغة العربية والنحو، وقبرها بالمقبرة السهلية بمراكش<sup>73</sup>، وهي والدّة الشيخ العلامة

<sup>66</sup> - ينظر النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية لأبي العباس أحمد بن الشمس [122/2] وبلاد شنقيط ص524.

<sup>67</sup> - ترجمته في المعسول [28/3 - 35] وإتحاف المطالع [436/2].

<sup>68</sup> - المعسول [29/3].

<sup>69</sup> - ينظر طرف منها في المعسول [30/3] فما بعدها.

<sup>70</sup> - هو الشاعر الأديب محمد سالم بن عبد الفتاح الصحراوي، من قبيلة أدا وعلى من (تاكنت) ورد أبوه عبد الفتاح نحو سنة 1322هـ إلى (الساقية الحمراء) فنزل على الشيخ (ماء العينين) وهناك ولد المترجم، أخذ عن جماعة من العلماء بالسمارة وغيرها، وكان ملازماً للشيخ ماء العينين حين نزل تزنيث ولابنه الهيبة في تنقلاته، وكان يتردد على مراكش وله علاقة بالباشا الأغلاوي، ثم سكن في (إلغ) بسوس، ثم ببني عياط، ليرجع بعدها إلى الصحراء حيث بقي حتى توفي هناك في نواحي طنطان سنة 1364هـ ترجمته في المعسول [35/3].

<sup>71</sup> - تنظر في المعسول [37/3] و [152/12] و [223/19].

<sup>72</sup> - المعسول [35/3].

<sup>73</sup> - ترجم لها ابنها محمد البيضاء في مقال عرف فيه بنفسه وأسرته، نشره بجريدة السعادة: العدد 4877، بتاريخ 15 فبراير سنة 1940.

الأديب محمد البيضاوي الشنقيطي (ت1365هـ)<sup>74</sup>، الذي كانت له مع السلطان مولاي عبد الحفيظ علاقة خاصة، وعمل في التدريس بطنجة وتطوان، وتقلد منصب العدالة والترجمة، وعين محررا في جريدة السعادة بالرباط، وتقلد في آخر حياته باشوية تارودانت وتوفي بها سنة 1945هـ. وكانت له مساجلات ومجالس أدبية مع شعراء عصره أمثال أحمد بن المامون البلغيثي (ت1348هـ)<sup>75</sup> وعبد الله بن العباس القباج (ت1365هـ)<sup>76</sup> ومحمد بوجندار الرباطي (ت1345هـ)<sup>77</sup> وأضرابهم.

ولعل أبرز عالم صحراوي اتفق له من الخطوة عند رجال السيف والقلم ما لم يتفق لغيره بالحواضر المغربية، وهو يمثل بصدق متانة تلك العلائق العلمية التاريخية التي ما فتئت تربط علماء الصحراء بإخوانهم بحواضر الشمال، الشيخ العلامة الفقيه أبو عبد الله محمد يحيى بن محمد المختار الولاقي الداودي الجعفري (ت1330هـ)، وخصوصا في أثناء رحلته الحجازية ذهابا وإيابا، لذا نرى من المناسب أن نمد حبل الحديث عن هذا العلم الباذخ، فنخصه بالمحور الموالي؛ لنرصد فيه تنقلاته في حواضر المغرب وجهاته، وما كان له في تلك التنقلات من اتصال برجال العلم والحكم.

<sup>74</sup> - هو الشاعر الأديب محمد البيضاوي بن سيد عبد الله بن محمد بن أمانة الله الجكني الشنقيطي، ولد في جوك بوسط موريتانيا سنة 1310هـ. ورحل مع أسرته رفقة آل مايابي الجكنيين بعد احتلال الاستعمار الفرنسي لبلاده إلى زاوية الشيخ ماء العينين بالسمارة، ثم تحول إلى مراكش وفاس حيث أخذ عن أبي شعيب الدكالي وعبد الله الفضيلي وأحمد بن الخياط، درس بالجامع الكبير بطنجة ودرس بتطوان، ثم اشتغل ترجمانا ببني ملال، وكان ذا دراية باللغة الفرنسية، وشارك في تحرير جريدة "السعادة" بالرباط كما عين قاضيا بوادي زم وغيرها، ثم عين باشا تارودانت إلى سنة وفاته سنة 1365هـ، ونقل إلى مراكش فدفن بباب أغمات. له ديوان شعر مطبوع جمعه له محمد الطريف. ترجم لنفسه في مقال خاص عنه وعن أسرته نشر بجريدة السعادة: العدد 4877، بتاريخ 15 فبراير سنة 1940، وينظر في خلال جزولة لمحمد المختار السوسي [57/4] وسل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال لابن سودة ص117 وإتحاف المطالع [507/2].

<sup>75</sup> - ترجمته في إتحاف المطالع [453/2] وشجرة النور الزكية ص 437.

<sup>76</sup> - ترجمته في إتحاف المطالع [502/2].

<sup>77</sup> - ترجمته في إتحاف المطالع [443/2].

## المحور الثاني: عالم الصحراء الكبير الفقيه أبو عبد الله محمد يحيى الولائي وصلاته العلمية برجال العلم والحكم بالمغرب

لم يكتف الفقيه الولائي في رحلته الحجازية بالعبور من سواحل المغرب برا أو بحرا في أسبوع أو أسبوعين، وإنما كان كلما حل بحاضرة أقام فيها ما طاب له، ودرّس أو زار العلماء، بل إنه تزوّج حين وصوله إلى مدينة الرباط. فابتداء من وصوله إلى أكلميم<sup>78</sup> نزل على القائد دحمان بن بيروك<sup>79</sup> الذي كان واليا على الصحراء من قبل المولى محمد بن عبد الرحمن العلوي، ثم استمر في ولايته أيام المولى الحسن<sup>80</sup>، إلى أن لقيه الفقيه الولائي في أيام المولى عبد العزيز، قال: "فأقمنا عنده ثلاثة أشهر، وضيافته جارية علينا"<sup>81</sup>. كما اتصل الفقيه الولائي بأخ القائد المذكور "عابدين بن بيروك" الذي ذكر في المعسول أنه "كان خليفة لوالده يلازمه دائما إلى أن توفي، وحين كان العهد العزيزي مالت قبائل الصحراء إلى الحكومة المغربية، وقد توارد رؤساؤها بعضهم على يد الشيخ ماء العينين، وبعضهم على يد القائد دحمان... وقد كان عمله في جمع كلمة قبائل الصحراء مشكورا؛ إذ توجه المولى إدريس بن عبد الرحمن إليه بأربعة عشر ظهيرا إلى قبائل الصحراء لتوزع على الرؤساء بيد الشيخ ماء العينين"<sup>82</sup>.

وهكذا أيضا حين نزل الفقيه الولائي في طريقه بـ"إيليغ" بقبائل "آيت باعمران"، نزل بها على قائدها محمد بن الحسين الإيليغي، الذي كان واليا عليها من قبل السلطان، وكذلك الحال لما وصل إلى الصويرة فنزل على القاضي العلامة أحمد بن المامون البلغيثي، وفي الرباط حين اتصل بالوزير الأعظم أحمد بن موسى (ت1318هـ)<sup>83</sup> الذي مهّد له الاجتماع بالسلطان المولى عبد العزيز الذي

<sup>78</sup> - أحد قصور تكتة تقع على الضفة اليسرى لوادي أم العشائر، شهدت في القرن 19 الميلادي ازدهارا اقتصاديا وتجاريا مهما إبان ازدهار مدينة الصويرة، وشكل صلة وصل بينها وبين الصحراء، وهي اليوم باب الصحراء وإحدى المدن العامرة.

<sup>79</sup> - ترجمته في روضة الأفنان في وفيات الأعيان للإكراري ص 121 والمعسول [278/19 - 281].

<sup>80</sup> - انظر المعسول [279-278/5].

<sup>81</sup> - الرحلة ص 157-156.

<sup>82</sup> - المعسول [281-271/3].

<sup>83</sup> - ترجمته في إتحاف المطالع [347/1].

وصله بصلة وبعث معه توصية إلى عامله بالدار البيضاء في شأن تسفيره إلى الحج عن طريق البحر كما هو مبسوط في كتاب رحلته<sup>84</sup>.

وفي أثناء مقام الفقيه بالرباط تزوج، وتحول من الزاوية التجانية إلى دار امرأته ومعه ولده محمد الحسن، فمكث عندها خمسة أشهر قبل أن يرحل إلى الحج. قال: "وأخذ علينا في تلك المدة أخوانا الفقيه سيدي عبد الله التادلوي<sup>85</sup> والفقيه سيدي محمد أب الأمين بعض علم البيان من كتاب تلخيص القزويني وبعض علم الأصول من جمع الجوامع، وأخذنا عليّ تأليفي في فقه الكتاب والسنة المسمى بـ"منبع الحق والتقى"، ونسخًا منه نسخة ونسخة من شرحه<sup>86</sup>، ونسخًا كثيرًا من تأليفي"<sup>87</sup>.

ولا أدل على ما خلفه الفقيه بالرباط من أصداء طيبة مما سجله صاحب المعسول في ترجمته في قوله: "ولا يزال ذكر هذا الأستاذ طيبًا بين علماء الرباط إلى الآن"<sup>88</sup>.

وفي طريق عودته بعد إقامة يسيرة في الرباط توجه إلى مراكش حيث اجتمع بالسلطان المولى عبد العزيز مرة أخرى، فنزل ضيفا بالقصر الملكي، ورتب له السلطان على يد وزيره الأعظم جراية بكتاب رسمي إلى ناظر الأوقاف الورزازي جاء فيه "أن رتب للفقيه محمد يحيى بن محمد المختار الولاقي ما يرتب لأمثاله من أعيان العلماء"، قال: "فجاءنا الكتاب فذهبنا به إلى الناظر فرتب لنا في كل شهر ثمانية عشر ريالًا حسنية نأخذها فوق ضيافتنا التي يرسل إلينا من الطعام، فالدراهم ضيافة السلطان، والطعام ضيافة الوزير"<sup>89</sup>.

<sup>84</sup> - الرحلة ص 278-279.

<sup>85</sup> - هو عبد الله بن محمد التادلي الرباطي، أديب شاعر متصوف، ولادته سنة 1266هـ ووفاته بالرباط سنة 1336هـ ترجمته في إتحاف المطالع [419/2].

<sup>86</sup> - كتاب منبع الحق والتقى الهادي إلى سنة النبي المنتقى للولاقي، مختصر في الفقه المالكي، شرحه مؤلفه في جزئين وسمى الشرح "العروة الوثقى الموصل إلى منبع الحق والتقى"، وقد طبع الأصل المشروح بشركة الشهاب، الجزائر، بتقديم: حسني ولد الفقيه. وطبع شرحه بدار النعمان - الجزائر، برعاية المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، ط 1429/1هـ - 2008م بتقديم حسني ولد الفقيه.

<sup>87</sup> - الرحلة ص 157-158.

<sup>88</sup> - المعسول [283/8].

<sup>89</sup> - الرحلة ص 350-351.

ثم بدا للفقير أن يعود إلى بلاده فاستأذن في التسريح إلى الصورة، فجاءته هدية السلطان وهي مائتا ريال وكسوتان له ولولده وبغلة بسرجهما في غاية الجودة، قال: "وأما الوزير فأهدى لنا ثلاثمائة ريال وخمسة وستين ريالا عينا، وأهدى إلينا قائد الرحامنة القائد البدالي ثلاثين ريالا"<sup>90</sup>. فبلغ مجموع ما تحصل له سبعمائة ريال حسنية عينا.

وفي أثناء مقام الفقير بمراكش اجتمع بالمولى عبد الملك بن عبد الرحمن العلوي عم السلطان الحسن، كما اجتمع بمحمد بن عبد الرحمن عم السلطان أيضا، قال: "وقرأ علينا كتاب الشمائل للترمذي وبعض كتاب الشفا للقاضي عياض رحمه الله تعالى، وقرأهما معه علينا الفقير الفاضل أحمد محمود بن سيدي صالح وجماعة من الأفاضل"، قال: "واجتمعنا بقاضيها الفقير سيدي العربي المنيعي، وهو رجل فاضل له حظ من العلم ومشاركة حسنة"<sup>91</sup>.

ولما حل بالصورة وصل إليها ومعه توصية من السلطان، قال: "فدخلناها لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع النبوي من العام الخامس عشر بعد ثلاثمائة وألف، فنزلنا عند قائدها الحاج علي، وبأيدينا كتاب مولانا عبد العزيز - نصره الله تعالى - يأمره فينا بإنزالنا وإكرامنا حتى نرتحل. فمكثنا في الصورة تسع ليال، واجتمعنا فيها بقاضيها الشريف مولاي أحمد البلغيثي، فأهدى إلينا شرح الشيخ كنون الفاسي على موطأ الإمام مالك في مجلد واحد، وأهدى إلينا تأليفا له - أي للقاضي المذكور - في بعض العلوم التي تتعلق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم"<sup>92</sup>.

ولما وصل الفقير الولاتي إلى "تازروالت" بسوس مكث بها أربعين ليلة عند القائد محمد بن الحسين بـ"إيليغ".

ويجدر بنا أن نتوقف هنا قليلا عند علاقة الفقير الحميمة بأدباء سوس الذين استغلوا فرصة وجوده بـ"إيليغ" ذاهبا وآيبا من رحلته لتوثيق الصلة به، ولا بد هنا من استحضار السجال المرير الذي دار بينه وبين عالم هذه الجهة

<sup>90</sup> - الرحلة ص 351-352.

<sup>91</sup> - الرحلة ص 252. وانظر الإعلام للمراكشي [37/9].

<sup>92</sup> - الرحلة ص 387.

<sup>96</sup>- قرية بـ"إلغ" هي مسقط رأس العلامة محمد المختار السوسي، تبعد عن تنزيت بـ 84 كلم شرقا. وصفها في المعسول وصفا وافيا. المعسول [26/25].

ما ضرَّ مَنْ بِالْفَوْقِ معْنَى وصفه  
فارقوا بجِدٍّ واجتهادٍ للعلَا  
أن كان في حِسٍّ بتحتٍ يوصفُ  
ترقُّوا معاليَ حدُّها لا يوصفُ<sup>97</sup>  
وقد أجابه الأديب سيدي محمد بن الحاج التانكرتي الإفرائي<sup>98</sup> بقطعة ذكرها في  
المعسول، ومطلعها:  
بالغَتْ في الإرشاد يامنُ يُنصِفُ  
أهلَ الوفا والنُّصح دينُ يُعرَفُ<sup>99</sup>  
وعارضه الأديب ماء العينين بن العتيق الصحراوي المتقدم بقوله:

يا أهل "تحت الحصن" إن يقع النوى  
لا زلتُم مأتى الوفود وإن دهَتْ  
إنا بلوناكم فألفيناكم  
لم تضجروا فطباعكم محمودة  
أنتم مناخ بني السبيل وحيُّكم  
"إن امرأً جعل الطريق لبابه  
فعليكم أسمى التحايا ما شَدَتْ  
كما خاطبه العلامة أبو الحسن الإلغي (ت1346هـ)<sup>101</sup> إذ ذاك بقوله بعدما  
فارقه:

ياسيداً أفديه من متواضع  
مني عليك سلام عبدٍ شَيْقٍ  
فامنن عليه بما يُحبُّ وشَنَقنْ  
واجعل قِراهُ دعاءَ عبدٍ غائبٍ  
يطوي المهامة نحو طيبة راجيا  
عَلَمٌ لأعلام الحقيقة فارعُ  
لمقامكم ولبابٍ وصلِك قارع  
أدُنِيهِ من نَظْمٍ بديعٍ جامع  
يبغي رضا الرحمن صبَّ ضارع  
تطهيرَ قلبٍ للذنوب مسارع

<sup>97</sup> - المعسول [282/8] وكذا [64/1].<sup>98</sup> - ترجمته في روضة الأفنان للإكراري ص 251 والمعسول [32/7/10].<sup>99</sup> - المعسول [64/1] و[282/8].<sup>100</sup> - المعسول [65/1].<sup>101</sup> - ترجمته في المعسول [325/1].



في بحر خير الخلق طُراً كارع  
وعلى صحابته وآلٍ بارع<sup>102</sup>

لا غرَ في تطهير قلبٍ مدّسٍ  
صلى عليه الله خيرَ صلاته

وفي إطار علاقات الفقيه مع رجال السلطة نزل الفقيه في عودته بأكلميم على قائدها دحمان بن بيروك، وهناك سئل عن مسألة الجمعة مرة أخرى التي كان قد أفتى فيها في رحلة الذهاب. وقد طاب له المقام في هذه المرة في تندوف بعد أن انتقل إليها من أكلميم، فأقام عاما وشهرا ضيفا على بعض أهلها، وهناك اتصل بقاضي تندوف أحمد دوكتا بن محمد المختار بن الأعمش (ت1318هـ)<sup>103</sup> وهو من رجال مشيخته، وكان هذا القاضي من بيت القارئ المشهور محمد بن المختار بن الأعمش (ت1285هـ)، وقد كان القاضي يتردد للأخذ عليه مع كبر سنه، ومما خاطب به الفقيه قوله:

وفاتي رنق المشكلات من أول  
وراضع ألبان العلوم بلا مثل  
أميئت وأخزي ملّة الظلم والجهل  
ألدّ مذاقاً من جنّ النحل والنخل  
من الحائر المحتاج للخدن والشكل  
وإعلامكم من واجب القول والفعل  
جلیلة قدرٍ یا إمام ذوي الفضل

إلى العالم الأرضي الكريم المجلّ  
وحائز قصب السبق في كل مشهد  
من أحياء به الرحمن كل شريعة  
سلام يفوق المسك رياء وطعمه  
فموجبّه إعلامكم بمحبة  
وإني على العهد القديم إليكم  
فلا تنسنا في كل حال بدعوة

فأجابه الفقيه الولاتي بقوله:

فتاهت على الأسماع من نشقه الأنف  
تحية تكريم يرافقها ألف  
بدا وجهه استحيا لهيبته الطرف  
له العدل ينمي والكرامة والعرف  
له كرم الأحساب والنسب الصّرف

سلام كزهر الروض فاح له عرّف  
سلام يفوق المسك طيباً تحفه  
سلام إلى كهف العلوم ومن إذا  
إلى أحمد البرّ الفتى الشامخ الذرى  
هو الفضل نجل الفضل والفضل  
جده

<sup>102</sup> - المعسول [282/8].

<sup>103</sup> - خصه في المعسول هو وأبوه المذكور بعده وأسرته بترجمة وافية [158/18].

وبعدُ فإن البرَّ والفضلَ والندى  
تبرُّهمُ بالقول والفعل والقرى  
وإن جاء غرثانُ لعلمِ سقيته  
وإني لكم حبٌّ حميمٌ وداده  
وإكرامَ أهل الفضل سيما لكم تصفو  
وتُكرمهم دأباً وترفو ولا تهفو  
بأكؤس علم زانها اللطف والعطف  
يزيدُ على مرِّ الدهور ولا يجفو<sup>104</sup>

وهكذا دارت هذه القطوف من أعذاق المودة ما بين الشيخين، وكل منهما يذكر من فضائل صاحبه وشماله ما يترجم عما في نفسه من تعلق مكين بصاحبه.

وكان هذا الشيخ القاضي كما يقول فيه صاحب المعسول: "عالماً فقيهاً مشاركاً في العربية والفرائض والتاريخ وعلم الأسماء والتفسير والحديث والسيرة"<sup>105</sup>. وزاد في المعسول في التنويه به بقوله: "وقد كان شمس تندوف كل حياته، فكانت الاستفتاءات والأسئلة العلمية وأهل الدعاوي يترددون إليه، وكان حيناً من الدهر قاضي "تامانارت" لا يُعلَى عليه، والناس يقبلون عليه ويرضون حكمه، ويفضلونه على أقرانه من فقهاء تلك الجهة، وقد كان في علم النوازل بارعاً". ثم قال عن صلته بالدولة المغربية: "وقد مثل في حضرة السلطان مولاي الحسن ومدحه بقصيدة، فولاه قضاء تندوف، أخبرني بذلك الشيخ سيداتي - يعني تلميذ الولاتي -، وقد رأيت أنا ظهائر ملكية وظهائر لأهله قبله في يد أحفاده"<sup>106</sup>.

ولعل من أبلغ ما يترجم عن محل القاضي "دوكنا" من العلم، خزائنه التي تحدث عنها صاحب المعسول حيث قال: "كانت لأهله خزانة كبيرة جليها مخطوط، فيها على ما سمعنا نوادر من الكتب العلمية، وقد صارت إليه بعض كتب الشيخ محمد يحيى الولاتي التي عجز عن الإصحار بها بعد مرجعه من الحج، فلا تزال إلى الآن ضمن الخزانة"<sup>107</sup>.

ولهذه الأسرة - أسرة ابن الأعمش - كما كان لأوائها ولاء متين للمغرب وملوكه كما لهم مشاركة بارزة في الكفاح الوطني ضد المستعمر الفرنسي في

<sup>104</sup> - المعسول [162.161/18].

<sup>105</sup> - المعسول [168/18].

<sup>106</sup> - المعسول [163/18].

<sup>107</sup> - المعسول [164/18].

بلدهم تندوف، ويذكر محمد المختار السوسي من شباب هذه الأسرة تلميذا أخذ عنه بمراكش اسمه عبد الرحمن، فيحكي عنه أنه انضم بالبيضاء إلى أصحاب الكفاح سرا، أيام الأزمة سنة 1371هـ ثم التحق بالعراق، فكان يعمل بقلمه وينشر من أخبار المغرب، وتوفي بحادث بُعيد الاستقلال<sup>108</sup>.

لقد مثل الفقيه الولائي في علاقاته بهذه الأسر العلمية وبرجال السيف والقلم صورة زاهية من صور التواصل بين السلطين الدينية والإدارية، كما مثل صورة أخرى عن وشائج القرى والأخوة ومواثيق البيعة والعهود السلطانية التي ظلت إلى زمن قريب تصل المناطق الصحراوية عموماً بقاعدة الملك في الجهات الداخلية للمغرب، كما أن في الوثائق الخطية التي رأينا شواهد منها بالنسبة إلى تندوف المعرضة اليوم لابتزاز العناصر الانفصالية ضداً على الوحدة الترابية لبلادنا ما هو ناطق بالتبعية السياسية والإدارية والقضائية للوطن الأم عبر القرون والأعصار<sup>109</sup>.

ولا نريد أن نختم الكلام عن علاقة الفقيه الولاتي بالسلطان المغربي دون أن ننوه بما قابل به هذا الجميل السلطان المولى عبد الحفيظ حين ولي الحكم في حياة الفقيه الولاتي عام 1325هـ فقد أمر بطبع طائفة من كتبه بمصر وبفاس، ومنها "فتح الودود على مراقي السعود" و"نيل السؤل في شرح مرتقى الوصول"<sup>110</sup>.

ومما ينبغي التنويه به مما يتصل بصلة الولائي بالسلطان عبد الحفيظ أن الفقيه كان قد نظم في أول شبابه مباحث الحروف من كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، فقام المولى عبد الحفيظ بنظم الكتاب كله كما هو مذكور في

<sup>108</sup> - المعسول [165/18].

<sup>109</sup> - ينظر نماذج من تلك الوثائق والظواهر السلطانية وعهود البيعة بين ملوك الدول المغربية وقبائل الصحراء في كتاب السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية لمحمد ابن عزوز حكيم، فقد أورد في كتابه زهاء 373 وثيقة غالبيتها من السجلات المخزنية الرسمية.

<sup>110</sup> - انظر الإعلام للمراكشي [181-180/7] والمعسول [285/8] والقبائل البيضانية في الحوض والساحل لبول مارتى ص 324.

ترجمته<sup>111</sup>.

ثم قام الشيخ محمد الأغضف بن أحمد مولود الوسري (1337هـ) من تلاميذ الولاقي بشرح نظم السلطان، فكان ذلك من بواعث تكريم السلطان لهذا التلميذ الذي كان من جملة حاشية السلطان الذين يذاكرهم في مجالسه العلمية<sup>112</sup>.

وقد ترجم المراكشي لمحمد الأغضف وذكر شرحه لنظم مغني اللبيب وأنه مطبوع<sup>113</sup>، وذكر من مكافأة المولى عبد الحفيظ له أنه حبس عليه وعلى ولده محمد عبد الله وعقبهما ما تناسلوا وامتدت فروعهما جميع البياض المسمى "أرض سيدي أحمد الرحالي" بـ"تسلطانت" وبوره وجميع أربع فرديات من كل عشرة أيام من ساقية "تسلطانت" حبسا مؤبدا، وتضمن الظهير الحفيظي تحديد الأرض المذكورة وبورها، وهي نحو ألفي هكتار<sup>114</sup>.

وهكذا مثلت جولات الفقيه الولاقي العلمية وتنقلاته، واتصالاته بملوك المغرب، ومحاوراته لرجال العلم والأدب في الحواضر المغربية التي دخلها، كما مثلت الصلات العلمية لعلماء الصحراء قبله وبعده أركى الشواهد على وحدة الانتماء الذي ينظم هذه الجهات المغربية في الشمال والجنوب، ويلقم الحجر أعداء الوحدة ودعاة الانفصال.

### خاتمة

وفي ختام هذا البحث، أعيد التنبيه إلى ما أشرت إليه في صدره من شساعة موضوعه وتشعب مناحيه ووفرة مادته بوفرة علماء الصحراء الذين شكلت صلاتهم العلمية مع إخوانهم في شمال المغرب معلما بارزا من معالم التاريخ العلمي والثقافي الحافل لهذا البلد المجيد، مما لا يمكن معه لبحث واحد

<sup>111</sup> - الإعلام [218/7]. وسمى السلطان المولى عبد الحفيظ نظمه "السبك العجيب نظم مغني اللبيب"، وطبع على نفقة الشيخ أبي شعيب الدكالي، بمطبعة مجلة المنار الإسلامي بمصر سنة 1327هـ.

<sup>112</sup> - المعسول [84/4].

<sup>113</sup> - طبع بمصر بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، سنة 1325هـ في مجلدين. ومعه حاشيته المسماة فتح الصمد على شرح السبك العجيب لمعاني حروف مغني اللبيب للشيخ علي بن مبارك الروداني الإدريسي.

<sup>114</sup> - الإعلام [218/7].

متواضع أن يوفيه ما يستحق من دراسة وتتبع، لكن قصدنا فيما طرقلناه من جوانبه أن نصل بالقارئ إلى عدة نتائج موضوعية، أهمها:

- أن العالم الصحراوي لم يكن يعرف له عبر التاريخ انتماء إلا للمغرب، لذلك لم يكن يشعر وهو يتنقل في حواضره ومناطقه المختلفة ويتصل بإخوانه العلماء ويحظى عند ملوكه ورجال الحكم فيه إلا أنه يتحرك في محيطه الطبيعي وبلده الأم الذي يفيد من خيراته ويقيم منه حيثما شاء.

- متانة العلائق التي ما فتئت تربط علماء الصحراء برجال العلم والحكم بشمال المغرب، مما أتاح للعالم الصحراوي أن يفيد بعلومه ومعارفه حيثما نزل من المغرب، وينشر له ذكرًا واسعًا وصيتًا يتردد في الآفاق، وأن يستفيد بالمقابل من المراكز العلمية في شمال المغرب إما في استكمال تكوينه أو في التزود بالكتب والمصادر لمقامه في الصحراء، أو في تأمين رحلته للحج عبر موانئ الشمال، إضافة لما يتاح له فيها من اتصال بملوك الوقت ورجال الدولة الذين لم يكن العالم الصحراوي ينفصل عنهم عائداً إلى أرضه إلا بعبء سخي وإكرام وافر، مشفوع بظواهر التعظيم والتوقير، وربما وصل الإكرام إلى التعيين في المناصب السامية للدولة كالقضاء وأنواع الولايات. وهي أمور كلها تجلي بوضوح انتماء علماء الصحراء - وهم النخبة التي تمثل أهل الصحراء عامة - لهذا الوطن واعتزازهم بالولاء له والبيعة لولاة الأمر فيه، وتوضح أن الصحراء لم تنفصل قط عن هذا الوطن الواحد الموحد أو يدين أهلها بالولاء والبيعة لغير ملوكه، وهي حقائق تتهاوى بها دعاوى الفرقة وأراجيف تجار الانفصال.

- كان علماء الصحراء عبر امتداد تاريخ المغرب دعاة وحدة واجتماع للكلمة بما أسهموا به من ربط لجنوب المغرب بشماله وتوطيد لدعائم البيعة في تخوم الصحراء عبر الزوايا والمحاضر كما رأينا نماذج من ذلك مع الشيخ أحمد دوكونا قاضي تندوف ومع الشيخ ماء العينين بالسامرة والساقية الحمراء ومع غيرهما.

## اقتراحات

- لئن كانت بعض الشخصيات العلمية الصحراوية قد حظيت ببعض الاهتمام في السنوات الأخيرة، فوجهت الأقلام والملتقيات العلمية إلى التعريف بها والكتابة عنها والإشادة بما كان لها من إسهامات علمية وازنة، كالفقيه محمد

يحيى الولاقي الذي كان موضوع ندوة علمية نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء برحاب كلية الشريعة بآيت ملول بتاريخ 28-29 ذي الحجة 1430هـ الموافق لـ 16-17 دجنبر 2009م، بمناسبة مرور مائة عام على وفاته، وصدرت أعمالها في مجلد خاص، فإن عددا كبيرا من أعلام الصحراء ما زالت أشخاصهم وسيرهم نكرة يطويها النسيان ولا يعرفها أحد، مما يحتم على الباحثين والأكاديميين أن يوجهوا بحوثهم ودراساتهم نحو التعريف بهذه الشخصيات ومآثرها وآثارها، ومن نماذج أولئك الأعلام الذين ما زالت سيرهم تعاني الإهمال على وفرة تأليفهم وما لهم من شهرة طبقت الآفاق، الإخوة الثلاثة أبناء مايابى الجكني: محمد العاقب، ومحمد الخضر، ومحمد حبيب الله، إذ لا أعلم أحدا خصهم بدراسة وافية تعرف بهم تعريفا وافيا، ما عدا تلك النبذ اليسيرة التي يقدم بها المحققون لكتبهم، ومثلهم في ذلك الشيخ أحمد المصطفى ابن طوير الجنة، في نماذج أخرى كثيرة.

- ما يزال موضوع العلائق العلمية بين رجال العلم في الصحراء ونظرائهم في مناطق المغرب الأخرى وما نتج عنها من تلاقح علمي في شكل مراسلات علمية ومساجلات أدبية وردود وألغاز ومطارحات وما إلى ذلك في حاجة إلى مزيد تتبع في بحوث علمية وأكاديمية خاصة، تجمع شتات ما تناثر في المصادر من ذلك في أثناء كتب التاريخ والتراجم أو كتب الرحلات وغيرها، فعسى أن ينشط لهذا العمل من يضطلع بجمع مادته ودراستها ليفيد بها المهتمين والباحثين.



النابعة بن عمر الغلاوي (ت1245هـ)، تحقيق ودراسة يحيى بن البراء، المكتبة الملكية ومؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1425هـ/2004م.

• تاريخ ابن طوير الجنة للطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة الحاجي الواداني التشيتي، تحقيق سيد أحمد بن أحمد سالم، من منشورات جامعة محمد الخامس، معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، مطبعة المعارف الجديدة، سنة 1995م، نصوص ووثائق رقم4.

• ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي-بتحقيق جماعة من الأساتذة، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-الرباط.

• التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لأبي يعقوب يوسف بن يحيى المعروف بابن الزياد التادلي، تحقيق د/ أحمد التوفيق، ط2/1997م، من منشورات كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط.

• جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لأحمد بن القاضي المكناشي ثم الفاسي، طبعة دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط سنة 1973م.

• حياة الكتاب وأدبيات المحاضرة للدكتور عبد الهادي حميتو، طبعة وزارة الأوقاف المغربية.

• خلال جزولة لمحمد المختار السوسي، طبعة تطوان-المغرب.

• دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بن سودة، طبعة دار الفكر، ط1/1418هـ-1997م.

• ذكريات مشاهير رجال المغرب-عبد الله بن ياسين الجزولي-للشيخ عبد الله كنون الطنجي-دار الكتاب اللبناني عدد37.

• الرحلة المعينية لماء العينين بن العتيق، تحقيق محمد الظريف، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1/2004م.



- الرحلة العياشية "ماء الموائد" لأبي سالم العياشي ط2 مصورة عن طبعة حجرية إعداد محمد حجي 1397هـ-1989م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحِميري، تحقيق د/إحسان عباس، نشر مؤسسة ناصر للثقافة -بيروت- طبع مطابع دار السراج، ط2/1980م.
- روضة الأفنان في وفيات الأعيان وأخبار العين وتخطيط ما فيها من عجيب البنيان لمحمد بن أحمد الإكراري، تحقيق حمدي أنوش، من منشورات كلية الآداب -جامعة ابن زهر- مطبعة المعارف الجديدة-الرباط، ط2/1430هـ-2009م.
- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم بحاشية فتح المنعم لبيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم للشيخ محمد حبيب الله بن مايابى الجكني الشنقيطي، طبعة دار إحياء الكتب العربية-مصر.
- طبقات (مناقب) الحضيكي، تحقيق أحمد بومزكو، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2006م.
- المعسول لمحمد المختار السوسي، مطبعة النجاح-الدار البيضاء، سنة 1381هـ-1962م.
- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية لعبد العزيز بنعبد الله مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية 1395هـ-1975م.
- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير الإفرائي، تحقيق عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، ط1/1419هـ-1998م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر-بيروت-لبنان.
- النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية لأبي العباس أحمد بن الشمس، طبعة المطبعة الجمالية مصر، ط1/1330هـ.

- نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق-مطبوعات دار المغرب الرباط 1397هـ-1977م.
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر لأبي عبد الله محمد الصغير الإفرائي، تحقيق د/عبد المجيد خيالي، طبعة مركز التراث الثقافي المغربي-الدار البيضاء، ط1/1425هـ-2004م.
- فتح العليم في معرفة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم: حياته، مناقبه، آثاره، لاحمدو بن مون، طبعة خاصة بمساعدة ابن النيني.
- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور لأبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، طبعة دار الغرب الإسلامي 1401هـ-1981م.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات للشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق د/إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط2/1982م.
- القبائل البيضاوية في الحوض والساحل الموريتاني تأليف الفرنسي بول مارتى، تعريب د/محمد محمود ودادي الشنقيطي، نشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس سنة 1422هـ-2001م.
- قطوف الريحان من زهر الأفنان شرح حديقة ابن الونان للشيخ أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي، نشر وتوزيع عمر بن أحمد بن محمد الأمين الشنقيطي، مكة المكرمة، ط2/1420هـ-1999م.
- سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال لعبد السلام بن سودة، تحقيق محمد حجي، طبعة دار الغرب الإسلامي، ط1/1417هـ-1997م.
- سلك الدرر في أعيان القرن الثالث عشر لأبي الفضل محمد خليل المرادي، نشر المطبعة الأميرية ببولاق، سنة 1301هـ تصوير دار ابن حزم ودار البشائر.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس لمحمد

- بن جعفر الكتاني، تحقيق د/محمد حمزة بن علي الكتاني.
- السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية لمحمد ابن عزوز حكيم، طبعة مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر-الدار البيضاء سنة 1981م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف، الناشر دار الكتاب العربي-بيروت.
- الشيخ ماء العينين: علماء وأمرء في مواجهة الاستعمار الأوربي للطالب أخيار بن الشيخ مامينا-مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي-سلا (المغرب) 2005م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق د/إحسان عباس، طبعة دار صادر-بيروت، ط1/1994م.
- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لأحمد بن الأمين الشنقيطي، بعناية فؤاد سيد، مطبعة المدني، الطبعة 4/1409هـ-1989م.